Archive of SID

Philosophy of Religion
Vol. 16, No. 1, Spring 2020
Manuscript Type: Research Article

https:// journals.ut.ac.ir/
Print ISSN: 2423-6942
Online ISSN: 2423-6934
DOI: 10.22059/jal-lq.2019.272006.871

Semiotic Title in the Poetry of Mohammed Afifi Matar; a Study in the Functions and Levels

Hamed Pour Heshmati[1]*, Shahriar Hemmati[2]

1. Ph.D. Candidate, Department of Arabic, Razi University, Kermanshah, Iran

2. Associate Professor, Department of Arabic, Razi University, Kermanshah, Iran

(Received: December 23, 2018; Accepted: May 20, 2019)

Abstract

The semiotic science was given great care of the title as an open threshold that determined the identity of the text, its production method, and its intuitive and intriguing content that could be derived from its superficial and profound implications. This title, for its important functions and levels of poetic poetry, transcends and oversees the poetic text in a single form, composition or phrases with coherent parts to preserve its unity, contribute to the appearance of its theme, define its vision and symbolize its significance. The functions and thresholds of the title threshold are activated in the poetry of Mohammed Afifi Matar. This study attempts to follow the most important functions of the title and its common toxicity levels in his poetry. The overall result of which is that the poet makes most of his concentration in the assignment of the main and sub-sections on a unit and a series alternately in form, and seeks to take into account this proportionality in many aspects with its texts, both verbally and verbally, but what is important in achieving the object is the way it reaches the content More than the content; the poet wants the method of Ennizha Beni Annawin and refused the hierarchy in order to achieve the function of the Greek.

Keywords

Semiotics, Title, Functions, Levels, Mohamed Afifi Matar.

* **Corresponding Author, Email:** poorheshmati@gmail.com

www.SID.ir

Archive of SID

مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١٦، العدد ١، ربيع ٢٠٢٠م
صفحة ١٠٥-١٣٣ (مقالة محكمة)

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

سيميائية العنوان في شعر محمّد عفيفي مطر؛ دراسة في الوظائف والمستويات

حامد پورحشمتي[١*]، شهريار همتي[٢]

١. طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة رازي، كرمانشاه، إيران
٢. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة رازي، كرمانشاه، إيران

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٨/١٢/٢٣؛ تاريخ القبول: ٢٠١٩/٥/٢٠)

الملخّص

لقد أولى علم السيمياء عنايةً فائقةً بالعنوان بوصفه عتبةً منفتحةً تحدّد هوية النص وطريقة إنتاجه وما تضمنه من حدسيةٍ وفضولٍ يمكن أن يصدر من دلالاته السطحية والعميقة. وهذا العنوان لما فيه من وظائف ومستوياتٍ سيميائيةٍ مثيرةٍ، يعلو النصّ الشعريّ ويشرف عليه في قالب مفردةٍ أو تركيبٍ أو عباراتٍ ذات أجزاءٍ متماسكةٍ ليحافظ على وحدته ويساهم في تمظهر موضوعه وتحديد رؤيته وترميز دلالته. تنشط وظائف عتبة العنوان ومستوياته في شعر محمّد عفيفي مطر؛ فتحاول هذه الدراسة باتّباعها النهج السيميائيّ أن تتناول أهمّ وظائف العنوان ومستوياته السيميائية الشائعة في شعره. يدلّ مجمل حصيلتها على أنّ الشاعر يجعل معظم تركيزه في تعيين العناوين الرئيسة والفرعية على وحدةٍ وسلسلةٍ متناويةٍ شكلياً كما يسعى أن يراعي هذا التناسب في العديد من العناوين مع نصوصها مضمونياً ودلالياً، ولكن ما يهمّه في تحقيق العناوين هو طريقة وصولها إلى المضمون وهي تقع عادةً في أولوية أكثر من المضمون؛ فيرغب الشاعر في أسلوب انزياحية بنى العناوين ورفض التراتبية فيها لتحقيق وظيفتها الإغرائية. يعمد الشاعر في بناء مستويات عناوينه إلى تشكيلٍ بصريٍّ يتراوح بين الوضوح والغموض في إظهارها، ومعجم شعريّ تقع فيه التجارب الإنسانية في بؤرة عنايته بالمفردات العنوانية، وتنضيد نحويّ يفعم بإنتاج العلاقة الإبداعية بين الدالّ والمدلول في التركيب الإسميّ أو انزياحية التركيب الجمليّ.

الكلمات الرئيسة

السيميائية، العنوان، الوظائف، المستويات، محمّد عفيفي مطر.

---

* الكاتب المسؤول
Email: poorheshmati@gmail.com

www.SID.ir

Archive of SID

مقدمة

لقد احتلّت السيميائية[1] مكانةً شاهقةً في المقاربات الأدبية ولاسيما من أجل لوازمها التنظيرية والتطبيقية الّتي ترفد على فتح مغالق النصّ وإضاءة مواطن الغموض فيه، تمكّنت من فرض منهجيتها أو أسُسها التنظيريّة المحدّدة على الساحة النقدية المعاصرة لاستخلاص علاماتٍ وعلاقاتٍ تربط بين العناصر والمكوّنات النصية أو معرفة نسقٍ كامنٍ وراء كواليس الألفاظ والعبارات. إنّ العتبات النصّية[2] أو النصّ الموازي الداخليّ من الفواتح النصّية الّتي يبدأ بها القارئ أولى خطوته للقراءة السيميائية في أغوار الفضاء النصّيّ، ويكون فيها العنوان مدخلٌ هامٌّ يتضمّن في داخله العلامة والرمز معاً؛ فهو علامةٌ سيميائيةٌ تعالج التدليل والتوجيه، وصياغةٌ رمزيةٌ تفوق النصّ وترافق الفكرة والرؤية المرفقة بدلالاتٍ فنيةٍ وجماليةٍ.

تغلب على عتبات محمّد عفيفي مطر[3] النصية ولاسيما على عناوينه الشعرية صياغةٌ لغويةٌ ومفهوماتيةٌ وطيدةٌ وغموضٌ متناثرٌ، وتتلفّع قوالبها بإشاراتٍ سيميولوجيةٍ يبثّ بها الشاعر أفكاره الذاتية والاجتماعية ومعتقداته الرئيسة. تأتي تجارب الشاعر ورؤاه في استخدام العناوين إلى حدٍّ بعيدٍ، معزولةً عن الأداء المباشر وتتعلّق بالإيحاء والتركيز على رموزٍ تتيح له فرصةً وافيةً كي يعبر بالألفاظ والتراكيب البسيطة ويرافق أساليب انزياحيةً بعيدةً عن الرتابة والتقليد. لقد هدفنا في هذه الدراسة ـ بنهجنا نهجاً سيميائياً قائماً على النصّ ولا على تعدّد الآراء الموجّهة إلى نقّادها ـ إلى استقراء علاماتٍ سيميائيةٍ صالحةٍ للتطبيق في مجال العنوان ووضعنا النقاط في تطبيقنا بطريقةٍ جزئيةٍ وطريقةٍ عامّةٍ على مجمل مستوياته ووظائفه لنرى مدى حيوية سيميائية العنوان لدى الشاعر ودورها الجماليّ على إثراء نصوصه؛ لذلك تنوي الدراسة في جدول أعمالها أن تجيب عن سؤالين رئيسين وهما:

ما هو دور وظائف عتبة العنوان في شعر محمّد عفيفي مطر على صعيد التعيين والوصف والإغراء؟

---

1. Semiotic
2. Péritexte

٣. إنّ محمّد عفيفي مطر من شعراء مصر العمالقة ومن أبرز أجيال الستّينات في بلاده. ولد سنة ١٩٣٥م وأظهر منذ نعومة أظفاره المشاعر والمواهب الوافية لقرض الشعر حتى أصبح شاعراً كبيراً يمتاز شعره بعلاماته الفذّة واتّجاهاته المؤثّرة في حركة الشعر العربيّ الحديث وهو لما يتنعّم بتجارب شعريّةٍ ملتبسة جداً في التعبير اللغويّ والمفاهيم وثقل المعرفة لأيقوناتٍ وصورٍ خارقةٍ، اتّخذ لنفسه سمةً خاصّةً ينقل بها خوالجه وأزماته النفسيّة والاجتماعيّة.

www.SID.ir

Archive of SID

كيف يتحقّق أهمّ مستويات العنوان في شعره من الجانب البصريّ والمعجميّ والتركيبيّ على أساس البنى السيميائية؟

خلفية البحث:

تحسّباً لشتّى الآراء الحديثة الّتي تتوّجه إلى النقد السيميائيّ للآداب، جرت مساعٍ عديدةٌ تقترب إلى حدّ ما من طريقة انتهجناها في دراستنا، منها ما ينزع إلى إضاءة العنوان في الغرب وهي تشمل على الإطلاق دراسات «الكتب والعناوين» لهلين[1] سنة ١٩٥٦م، و«العناوين» لتيودور أدورنو[2] سنة ١٩٦٢م، و«بحث حول العنوان في الأدب والفنون» لكريستيان مونسولي[3] سنة ١٩٧٢م، و«من أجل دراسة سيميائية للعنوان» لليو هويك[4] سنة ١٩٧٣، و«العنوان باعتباره جنساً أدبياً» لهاري ليفين[5] سنة ١٩٧٧. أو ما بادرها العرب مثل «السيميوطيقا والعنوان» لجميل حمداوي سنة ١٩٨٧م، و«العنوان في الأدب العربيّ (النشأة والتطوّر)» لمحمّد عويس سنة ١٩٨٨م، و«العنوان وسيميوطيقا الاتّصال الأدبيّ» لمحمّد فكري الجزار سنة ١٩٨٨م، و«سيمياء العنوان» لبسام قطوس سنة ٢٠٠١م و«في نظرية العنوان» لخالد حسين حسين سنة ٢٠٠٧م وألخ.

فضلاً عنها، ثمّة دراساتٌ عنوانيةٌ جمّةٌ تستهدف الشعر العربي، بعضها:

«العنوان في النصّ الشعريّ الحديث في المملكة العربية السعودية» رسالة ماجستيرٍ ناقشها حمدان محسن عواض الحارسي بإشراف عبداله بن محمّد العضيبي في جامعة أمّ القرى السعودية سنة ٢٠٠٧م وقام فيها بدراسة العنوان عند ثلاثةٍ من الشعراء السعوديين وحصل على كيفية اختيارهم للعناوين الشعرية.

«بنية العنوان في شعر محمود درويش» مقالٌ نشره عبد الستار عبد الله صالح وجاسم محمّد جاسم في العدد الثالث من مجلّة أبحاث كلية التربية الأساسية سنة ٢٠٠٨م. تناول فيه الباحثان توظيف العنوان في شعر محمود درويش وتوصيفه بنائياً ووظيفياً ثمّ إظهار دور النصّ في الكشف عن دلالة العنوان أو تعاضد النصّ مع فلسفة المرسل في الاختيار والتركيب.

1. M.Helin.
2. Adorno.
3. Christian Moncelet.
4. Leo Hoek.
5. H. Levin.

www.SID.ir

Archive of SID

«سيميائية العنوان والشخصية التراثية في شعر مظفّر النواب الوتريات الليلية اختياراً» دراسةٌ نشرها سامي كريم موشي في العدد الرابع من مجلّة آداب ذي قار سنة ٢٠١١م ويحاول فيها استقراء ملامح العنوان في قصيدة «الوتريات الليلية» واستقراء أبعاده اللغوية والموسيقية المثيرة ثمّ علاقاته مع النصّ.

«سيمياء العنوان في شعر أحمد مطر» دراسةٌ نشرها حسن علي عد الحسين الدخيلي وكاظم عبد فريح المولى وعبد الوهاب عبد الجليل في العدد ٢٣ من مجلّة ميسان للدراسات الأكاديمية لعام ٢٠١٣م وتطرّق فيها الباحثون إلى العلاقات الامتدادية والارتدادية والاغترابية للعنوان في شعر أحمد مطر ثمّ جمالياته اللافتة كالتناصّ والانزياح نموذجاً.

«سيمياء العنوان في شعر هدى ميقاتي» مقالٌ كتبه عامر رضا ونشره في العدد الثاني (المجلّد ٧) من مجلّة الواحات للبحوث والدراسات سنة ٢٠١٤م مزاولاً فيه لإيحاءات العنوان في أعمال الشاعرة اللبنانية هدى ميقاتي وأبعاده الفكرية الّتي تتكوّن بقوّة الأسلوب والانفعال كنزوعها إلى الصياغتين الأسطورية والدينية أو الاتّجاهات الدينية والأخلاقية، والسياسية، والاجتماعية الّتي يمكن رؤيتها في أيّ إبداعٍ شعريٍّ.

وأمّا في شعر محمّد عفيفي مطر فعلى الرغم من كثرة الدراسات في شأنه، لم تنتشر حتّى الآن دراسةٌ تتناول سيميائية العنوان عنده، إلّا ما كتبه حامد پورحشمتی وشهريار همتي، ويكون في طور الطبع والنشر في العدد ٣١ من مجلّة لسان مبين وهو يعنون بـ «سيميائية قصيدة "وشم النهر على خرائط الجسد؛ الوشم الرابع" لمحمّد عفيفى مطر؛ دراسة في العتبات النصية والأساليب البصرية»، بحث سيميائيّ عني بالعنوان في قصيدةٍ واحدةٍ بوصفه أحد العتبات النصّية الّتي يعنى به الشاعر بجانب العناية بفاتحة القصيدة وخاتمتها وهوامشها.

وعياً لذلك تسعى هذه الدراسة إلى تحديد أهمّ العتبات العنوانية المثيرة في شعر محمّد عفيفي مطر وتحليلها السيميائيّ على أساس ما يتابعه مقتضى البحث ويستتبّ في تنظير الحدود السيميائية وتطبيقها.

سيميائية العنوان في النصّ الشعريّ المعاصر

إنّ العنوان من عناصر النصّ الموازية أو عتبات النصّ الّتي تشارك في تلقّي النصوص وفهمها؛ لأنّه علامةٌ سيميائيةٌ زاهرةٌ يتصدّر بها النصّ ويبنى عليها نسيجه و«كثيراً ما يكون العنوان لغزاً يخلق لدى القارئ تطلّعاً ولهفةً وحالة انتظارٍ» (العمامي، ٢٠١٣: ١٠١)، أو على

www.SID.ir

Archive of SID

أساس ما اعترف به جيرار جنيت[1] عن شارل كريفل[2] وليوهوك[3]، يكون العنوان هوية النصّ بحيث إنّ مفتاح تأويل النصّ يخصّه ويتعلّق به (نور الدين، ١٩٩٤: ٧٠). يعدّ العنوان عتبةً بدائيةً ذات علمٍ قائمٍ بذاته أو جنساً أدبيّاً مستقلّا في عملية التأسيس الخطابيّ ويسمّى بعلم العنونة[4] بوصفه قالباً نصّياً محدّداً ينبني على إخضاع القارئ وتوجيهه إلى صلب الموضوع. فضلاً عن ذلك يملك العنوان دوراً نشيطاً في عملية نقل القارئ من العالم الداخل إلى عالم الواقع المنتمي إلى الخارج ثمّ إلى عالم الخيال الّذي يعيده إلى داخل النصّ، من ثمّ يستطيع العنوان أن يتابع فيه العديد من الأصداء السيميائية والرمزية، ويمثّل الدلالات الواقعية والخيالية الّتي يحال عليها من الواقع النفسيّ والاجتماعيّ.

أمّا العنوان في النصّ الشعريّ المعاصر فبعدما أخذ سمةً وعلامةً لتميز العمل الأدبيّ وتطوّره، أصبح رافداً أساسيّاً في معرفة بنية العلامات وقيمها الجمالية الّتي لا حدود لها؛ لأنّه «ليس مجرّد إضافةٍ شكليةٍ فارغةٍ من المدلول، وإنّما أصبح يشكّل واحداً من مفاتيح النصّ الشعريّ الّتي تساعد على كشف مدلولاته، واستكناه أسراره» (الحارثي، ٢٠٠٧: ٢). إنّ العنوان ينعقد بالجانب الإبداعيّ في الشعر العربيّ؛ فهو لما فيه من علامةٍ مركزيةٍ دالّةٍ تسم النصّ وتكشف عمّا يحتاج بين العناوين إلى التحليل والتدقيق النقديّ، يبحث في وظيفته الأولى عن الوسائل والتقانات الّتي تجعله أكثر شاعريةً وأكثر دلاليةً، وتسحبه نحو التعمّق والوسم (بخولة، ٢٠١٨: ٤٣). فضلاً عن ذلك يرتبط العنوان ارتباطاً عضوياً وثيقاً بالنصّ الشعريّ المعاصر، يكمله ولا يختلف عنه؛ فهو «غدا جزءاً من إستراتيجية النصّ، لأنّ له وظيفةً في تشكيل اللغة الشعرية ليس بوصفه مكمّلاً أو دالّاً على النصّ، ولكن من حيث هو علامةٌ لها بالنصّ علاقات اتّصالٍ وانفصالٍ» (قطوس، ٢٠٠١: ٥٧-٥٨)؛ لذلك كما مهمّة الشعر أن تفيد بالإخبار أو إيصال المعانى الّتي ترافق الواقع والرمز والتخييل والإيحاء؛ فالعنوان أيضاً له أن يكون بنيةً مختزلةً يؤدّي فهمها إلى إدراك النصّ الأكبر أو الحوار والتجاوب معه.

علامات العنوان في شعر محمّد عفيفي مطر

إنّ العنوان في جميع الأحوال يكون لافتاً مثيراً في النصوص الشعرية المعاصرة، غير أنّه في شعر عفيفي مطر يلعب دوره المثير إحصائياً ودلالياً؛ فهو من جهة الإحصاء يفيد بمجموعاته

1. Gérard Genette.
2. Ch. Grivel.
3. Leo. Hoek.
4. Titrologie.

www.SID.ir

Archive of SID

الشعرية الكاملة الّتي تنحصر في ثلاث مجلّدات، و١٤ عنواناً للدواوين و٢٣٤ عنواناً رئيساً وفرعياً لقصائده. ومن جهة الدلالة لعناوينه إشارةٌ لامعةٌ تلخّص البنية العامّة لمحتوى خطابه وهو بوصفه نافذة يستطيع من خلالها القارئ البارع أن يرى الحقول الدلالية الّتي تدلّ على قدراته التصويرية والخيالية والواقعية على بكرة أبيها؛ لذلك تسعى الدراسة أن ترد في عناوين الشاعر من وجهتين، الوجهة الواحدة تخصّ الوظائف الّتي يملكها العنوان وهي سيأتي شرحها على تفصيلٍ، والوجهة الثانية تعمد إلى مستويات تشكيله وهي بحاجة إلى تفكيك مفردات العناوين على حدةٍ باعتبارها علاماتٍ لغويةً ذات دلالاتٍ معينةٍ.

وظائف العنوان:

لقد عينت للعنوان في الدرس السيميائيّ المعاصر وظائف عدّةٌ، منها ثلاثة وظائف يمكن تفريعها إلى الوظيفة التسمياتية، والوظيفة التعيينية، والوظيفة الإشهارية (الحجمري، ١٩٩١: ١٨) ، ولكن أهمّها أربع وظائف اعتبرها جيرار جنيت وهي تعين العمل الأدبيّ ومضمونه، وتمنحه قيمته في الوظيفة التسمياتية (التسموية / التعيينية)، والوظيفة الإغرائية (التحريضية/ الإشهارية)، والوظيفة الوصفية، والوظيفة الإيحائية (حمداوي، ٢٠١٥: ٢٤)، أو أحياناً تقترب بعض الوظائف وتستخدم بدلاً عن بعضها كما وقع الامتزاج بين الوظيفتين التسمياتية والتعيينية في تقسيم جنيت[1] وأيضاً تشمل الوظيفة الإيحائية في توظيفها الوظيفة الوصفية كما تنطوي الوظيفةُ الإغرائية على الوظيفة الإيحائية ويرى تفصيلها في مواصلة الدراسة. لا شكّ في أنّه تحمل عناوين الشاعر دلالاتٍ مختلفةً ووظائف عديدةً تستوعب ما حدّدها جنيت على جلب القارئ واسترعاء عنايته لتعلن عن فحوى النصّ وترغّب القراءة فيه كما نلتقي بها من خلال مقاربات وتطبيقات ستقوم بها الدراسة على مجموعة قصائد الشاعر:

الوظيفة التعيينية:

إنّ الوظيفة التعيينية[2] أو التسموية تعتبر وظيفةً أولى بين سائر وظائف العنوان؛ لأنّها أبسط وظيفةٍ يمكن أن يضطلع بها الشاعر عن طريق اختيار عنوانٍ وتسميةٍ على شعره ويراعي مؤشّر المطابقة بين العنوان والنصّ (بلعابد، ٢٠٠٨: ٧٨). تعرف الوظيفة التعيينية في شعر

١. يذكر جنيت تقسيماً آخر من وظائف العنوان في ثلاثة أمورٍ وهي وظيفة تعيين العمل، وظيفة تعيين محتوى العمل ووظيفة جذب انتباه المخاطب (جنيت، ١٩٨٧: ٧٣).

2. Designation.

www.SID.ir

Archive of SID

عفيفي مطر بميزة التعيين من جهتين، إحداهما هي ميزة تسمية العناوين الّتي تشحن بها عناوين الشاعر بحيث لا تشاهد لديه قصيدةٌ واحدةٌ تخلو من وضع العنوان. لقد عين الشاعر ١٣٥ عنواناً رئيساً و٩٩ عنواناً فرعياً لقصائده وتتراوح حصّة كلّ ديوانٍ في حيازة عدد العناوين للمجموعاته الثلاث بين الكثرة والقلّة؛ فيختلف عدد هذه العناوين في كلّ ديوان على أساس عدد العناوين الرئيسة والعناوين الفرعية بحيث يختار الشاعر لمجموعته الأولى «من مجمرة البدايات» خمسة دواوين وهي على أساس وظيفة التعيين تضمّ ديوان «من مجمرة البدايات» بأحد عشر عنواناً رئيساً (٢٠ عنواناً فرعياً)، وديوان «الجوع والقمر» بتسعة عشر عنواناً رئيساً (٣ عناوين فرعية)، وديوان «من دفتر الصمت» بعشرة عناوين رئيسة (٦ عناوين فرعية)، وديوان «من حوارات الصاعقة الخضراء» بأربعة عناوين رئيسة، وديوان «يتحدّث الطمي» بتسعة عشر عنواناً رئيساً (٣ عناوين فرعية). المجموعة الثانية «ملامح من الوجه الأمبيذوقليسي» تملك أربعة دواوين وهي ديوان «ملامح من الوجه الأمبيذوقليسي» بستّة عشر عنواناً رئيساً (٤ عناوين فرعية)، وديوان «رسوم على قشرة الليل» بعشرة عناوين رئيسة (١٩ عنواناً فرعياً)، وديوان «كتاب الأرض والدم» بسبعة عنواناً رئيساً (٣٥ عنواناً فرعياً)، وديوان «شهادة البكاء في زمن الضحك» بستّة عناوين رئيسة (٩ عناوين فرعية). المجموعة الثالثة «احتفاليات المومياء المتوحّشة» تعرف بخمسة دواوين وتمتاز بفراغ العناوين الفرعية في القصائد وهي ديوان «والنهر يلبس الأقنعة» بثمانية عناوين رئيسة، وديوان «رباعية الفرح» بأربعة عناوين رئيسة، وديوان «أنت واحدها وهي أعضاؤك انتثرت» بستّة عناوين رئيسة، وديوان «فاصلة إيقاعات النمل» بسبعة عناوين رئيسة، وديوان "احتفاليات المومياء المتوحّشة" بثمانية عناوين رئيسة على الترتيب كما يقدّم الرسم الإحصائيّ قياساً بين جميعها:

www.SID.ir

Archive of SID

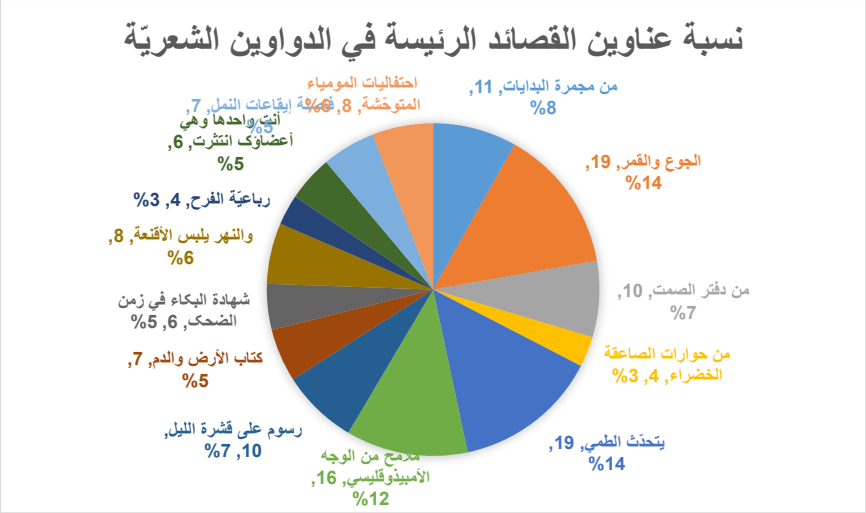

كما من الواضح أنّ ديواني «يتحدّث الطمي» و«الجوع والقمر» قد أحرزا قصب السبق للدواوين الأخرى في حيازة عددٍ كبيرٍ من العناوين الرئيسة. ديوان «يتحدّث الطمي» (صدر في القاهرة عام ١٩٧٧م) هو الديوان الأخير في مجموعة عفيفي مطر الشعرية الأولى، ويمتاز بالقصائد القصيرة الحاملة للخرافات الشعبية، وتأتي عناوينها عادةً في كلمةٍ واحدةٍ ولا يشعر باقترانٍ وتناسبٍ لفظيٍّ بالغٍ بين ألفاظها، فعنونت القصائد على الترتيب «مائدة، بهلوان، زيارة، انتظار، بكائية شجرة الأسلاف، غناء و...» على نحو متناثر بحيث يعرف هذا التناثر والتبعثر أيضاً في تعيين نصوصها؛ فلا تختلف نقطة انطلاق معظم هذه القصائد عن ختامها من جهة مراعاة الوحدة العضوية. أمّا ديوان الجوع والقمر فيساوي الديوان المنصرم في عدد عناوين القصائد الرئيسة، نشره الشاعر سنة ١٩٧٢م أي قبل صدور هذا الديوان في دمشق ويشمل العناوين المبدعة من مواضيع دراميةٍ موحيةٍ التحمت مع مظاهر الطبيعة وبيئة القرية؛ فيحمل ديوانه قصائد كـ«الشمس الّتي لا تشرق "شظايا"، شرفة المحاصر، حدائق الزقوم، جامعة التوت و...»، وينظر من خلالها الشاعر إلى الشؤون الاجتماعية بمنظارٍ رمزيٍّ كما تدلّ تسمية الديوان أيضاً على هذه الصبغة والنزعة.

تعيين العناوين الفرعية:

لقد اهتمّ الشاعر باختيار العناوين الرئيسة ثمّ تقسيمها إلى العناوين الفرعية وها هو الّذي ينضوي تحت دراسة وظيفة التعيين لعناوينه لتتبين علاقة أيّ عنوانٍ رئيسٍ مع العناوين الداخلية ومضامين نصوصها كما يلي دورها في القصائد الحاملة للعناوين الفرعية:

www.SID.ir

Archive of SID

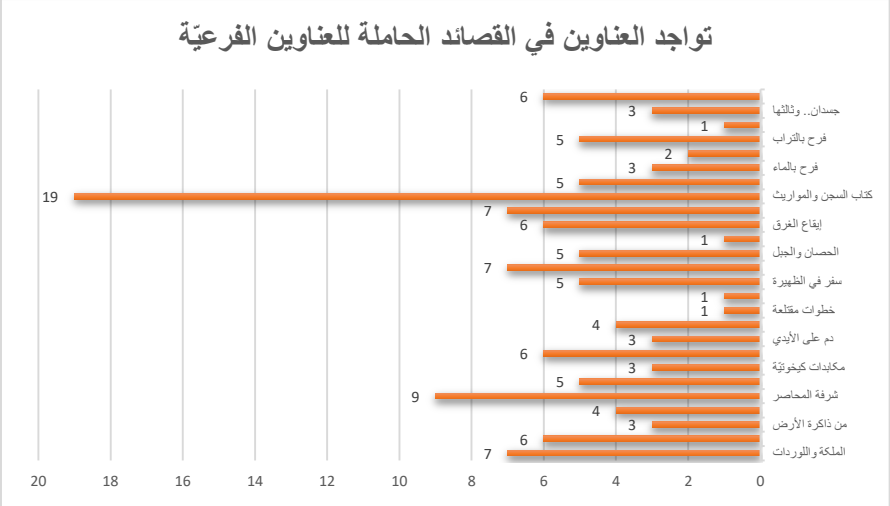

بعد ملاحظة الرسم الأعلى يحصل التثبّت من أنّ العناوين الفرعيّة أو الداخليّة تشغل مرتبة عتبةٍ عليا بين العناصر العنوانية في شعر محمّد عفيفي مطر وهي من حيث الدلالة وشبكة توظيفها تحمل على الإطلاق خاصيتين في الشعر العربيّ المعاصر وهما «الأولى وقوعه في الدائرة الدلالية للعنوان الرئيسيّ، والثانية: تمتّع العنوان الفرعيّ بمحمولٍ إعلاميٍّ مغايرٍ مغايرةً شارحةً للعنوان الرئيسيّ» (الجزار، ١٩٩٨: ٥٥-٥٦). لقد تمّ الكشف عن الترابط والتداخل بين العناوين الفرعية والعنوان الأوّل في شعر عفيفي مطر في مواقف عدّة بحيث كأنّ الشاعر يريد بهذه الخطوة ضرباً من التسلسل في مقاطع متتابعةٍ من شعره ليساعد عملية السرد، ولاسيما يوطّد الحبكة وتماسكها العضويّ. كما يظهر في الرسم الأعلى نالت قصيدة «كتاب السجن والمواريث» أعلى نسبة العناوين الفرعية بين أمثالها؛ فهي قصيدة أنشدها الشاعر سنة ١٩٦٨م وتناول فيها عنف المعاناة والتنكيلات الّتي تذوّقها في السجن وحيداً، وفي هذه الوحدة تسنح له فرصةٌ كبيرةٌ كي يلتفت إلى المواضيع الذاتية الّتي كانت لافتةً في عناوينها الفرعية ك «عذابات سرّية، المفاجاة، مقبرة الارتحال، تاج الدمع، حصار، تحريض، انتظار، مملكة الصرخة و...»؛ لأنّ السجن وفضاءه في القصيدة يحمّل له بإيحاءاتٍ عفويةٍ منسجمةٍ مع غربته المكانية والنفسية، ويجعله في صراعٍ ثنائيٍّ يرتاب أن يعمل على تكييف الذات مع الواقع أو يتقابل معه.

قد يلحظ أنّ الترابط والوحدة الموضوعية في تعيين العناوين الفرعية يأخذان في التباعد والتنافر منها قصيدة «كلمات حبلى» وهي قصيدة تعنونت بهذا العنوان الرئيسيّ ثمّ تفرّعت

www.SID.ir

Archive of SID

بستّة عناوين فرعيةٍ مرقّمةٍ تختلف أيٌّ منها عن الأخرى من وجهة التركيب الكتابيّ والمفهوماتيّ وهي (١. دمعة على قبر قتيل مجهول، ٢. كلمات منمّقة، ٣. إلى مغنية ضريرة، ٤. افتحي الشبّاك، ٥. ماذا يقول منتصف الليل، ٦. دقّات الساعة). تنطلق القصيدة من التعريف بالحال وموقف الحياة الراهن الّذي انعقد بخداع الكلمات والرموز الغامضة ثمّ تنتهي إلى دقّات الساعة الّتي تبلغ اثنتي عشرة دقّةً وهي في كلّ دقّةٍ تتخلّل الكون وتصيب الأجيال والأرض حتّى تصل إلى الدقّة الأخيرة وهي من شدّة الكارثة غير متّضحة للتقدير بل أصبحت منفتحة أمام القارئ. قد يتضاءل الترابط المفهوماتيّ بين العناوين وهو يجلو في قصيدة «منظر قتل في أرض الموت» الّتي تعدّ قصيدةً اجتماعيةً تتفرّع إلى خمسة عناوين وهي على الترتيب المرقّم تضمن «١. الفتاة، ٢. الفتى، ٣. العاصفة، ٤. صوت مذبوح، ٥. رحلة جسد الشاعر القتيل»، كأنّ كلّ حلقةٍ تتعلّق بشخصيةٍ خاصّةٍ، فتنطلق من الفتاة الّتي نزلت ذات مساءٍ من فصل الصيف في النهر وانقلبت بنزولها عناصر البيئة وأخذت في الاخضرار والولادة الجديدة ثمّ يحضر دور الفتى الّذي يجرّب ألوان الجوع والرعب في نفس البيئة، تتدرّج القصيدة نحو الأمام حتّى تدع ما انصرم لتصل إلى مقطع رحلة الجسد الشاعر القتيل الّذي ينتظر جواد النار كي يدخل في غابات الظلمة والأعراف.

الوظيفة الوصفية:

تتميز الوظيفة الوصفية[1] في استخدام العنوان باعتبار ميزة المطابقة المفهوماتية بين العنوان والنصّ سوياً لتزوّدهما بالرسالة وتفاعلهما المثير؛ لأنّ العنوان يعرف بمجموعةٍ من الدلائل اللسانية الّتي تتقدّم عادةً على النصّ من أجل تعيينه، ولكن تشير إلى محتوى النصّ العامّ وتظهر قيمته الدلالية (جنيت، ١٩٨٧: ٨٩). لقد كانت هذه الوظيفة الفاعلة جلية في عناوين محمّد عفيفي مطر الشعرية وعلى الخصوص حينما يقصد الشاعر ربط العناوين الشعرية بالنصوص ليعلن عن فحواها وتكون العناوين مجملةً نافعةً من نصّها، لكنّه يجرّب بشكل عامّ من خلال أصل الترابط والعلاقات السيميائية ثلاث علاقاتٍ من الوظيفة الوصفية الّتي يمكن الوقوف عليها من جهة الشدّة والضعف، ١. العلاقة الوصفية بين العنوان والنصّ بالغةٌ، ٢. العلاقة بينهما متراوحةٌ ضئيلةٌ، ٣. العلاقة مضحلّةٌ مكنونةٌ كما يلي تطبيقها إطلاقاً:

1. La descriptive Fonction.

www.SID.ir

Archive of SID

التطابق الوصفيّ بين العنوان والنصّ:

يكثر التطابق الوصفيّ بين العنوان والنصّ في عناوين عفيفي مطر الشعرية؛ فالعنوان يحضر في نصّه حضوراً مباشراً أو رمزياً ليخبر عن موضوع النصّ أو نوعه أو جنسه أو كلاهما. هذه الوظيفة هي الوظيفة الميتالسانية أو الإخبارية الّتي تنتشر في عناوين الشاعر بوفرةٍ كما نراها نموذجاً في عنوان قصيدة «مكابدات كيخوتية» الّذي يفيد باندماج السارد الانفعاليّ في مواضيع ذاتيةٍ واجتماعيةٍ تتناسب مع موقفه الحالي، في الواقع يدلّ العنوان على غاية بين الشاعر المغامر وبين ما يراه في أرجائه من البيئة، والطبيعة، والثقافة مع كلّ تفاصيلها المعنية في النصّ. أو في قصيدة «الطفل والحزن» يتناول الشاعر تحوّل الرغبات والحالات في طفلٍ صغيرٍ تعوّد على مباهج الحياة ولم يدرك الأحزان من قبل.

قد تأتي المطابقة بين العنوان والنصّ في قصائد الشاعر ضئيلة جداً بحيث إنّ عنوان القصيدة يبدو في النظرة الأولى منبتّاً كاملاً عن دلالة العنوان، منها عنوان قصيدة «الشمس الّتي لا تشرق شظايا» الّتي يتناول نصّها جولة الشاعر الدرامية في بيئةٍ مقفرةٍ وتسطع فيه حضور الشخصية وردود فعلها وتنجذب أبصار القارئين أيضاً إليها؛ فتختفي بؤرة العنوان أي الشمس الّتي يقع دورها وراء الكواليس وفي الهامش؛ فهي لا ترى النور إلّا أثناء الحديث عن أحداث ليلةٍ واحدةٍ يعدّها الشاعر ليلةً طويلةً لا تنجلي ولا يحلّ محلّها الصباح وطلوع الشمس.

هذا وقد يزول الترابط بين العنوان والنصّ اطلاقاً وهذا الأسلوب يندر وقوعه في شعره، نموذجاً منه قصيدة "خطوات مقتلعة" الّتي عين فيها الشاعر عنواناً غامضاً لنصٍّ يستهلّ بالبحث عن هوية ذاتٍ منبهرةٍ مغمورةٍ أضاعت نفسها منذ الولادة حتّى العرس وهي الآن تريد أن تجدها بإقامة صلةٍ وطيدةٍ مع عناصر الطبيعة. يتناول لفظ العنوان (خطوات) علامةً حسّيةً في الشخصية، لكنّ النصّ يخصّ موضوعاً داخلياً منها؛ فإنّ العنوان ليس دالّاً وافياً يباشر مدلوله ويقلّل شيئاً من غموضه كما ينتظر، غير أنّه يلمس واقع النصّ ودراميته.

www.SID.ir

Archive of SID

الوظيفة الإغرائية:

إنّ الوظيفة الإغرائية[1] أو التحريضية/ الإشهارية في العنوان أي أن يكون مستحدثاً ليظهر إغرائياً مدهشاً لمستقبله وهي تمتّ بصلةٍ لمن يستلم العنوان وليست أفكاره ومتطلّباته مطابقة مع واضع العنوان؛ فالوظيفة الإغرائية داعية لوضع عناوين مغريةٍ خلّابةٍ كي تثير فضول القارئ وتشوّقه إلى قراءةٍ متكاملةٍ ومتواصلةٍ (السلطاني وحمود، ٢٠١٤: ٢٥٨). تجلو هذه الوظيفة في شعر عفيفي مطر بميسم صدمةٍ تستلفت عناية المتلقّي وتخرجه من روتين الكلمات الجامدة نحو العصف بالرتابة عبر استنفاد قصارى طاقة المفردات في الترميز ونقلها إلى اللا متجانس واللا مألوف؛ إذ تستطيع الوظيفة الإغرائية أن تحمل في نفسها على التشويق والإغراء وظيفتين أخريين وهما وظيفةٌ إيحائيةٌ[2] (رمزية العنوان) ووظيفةٌ انزياحيةٌ (اللا تجانسية العنوان)؛ لأنّ العنوان على أساس هذه الوظيفة ليس شأنه إيصال المضمون أو الشكل فحسب بل ربّما يدخل في عالم التشبيه والاستعارة أيضاً؛ إذن «ينهض على الايحاء بالمعنى فهو يخاطب من القارئ ثقافةً وملكاتٍ ويستعمل من اللغة طاقتها في الترميز» (الهميسي، ١٩٩٧: ٤٤).

تنتشر لمحات الوظيفة الإغرائية بهذه المعرفة السيميائية في العديد من عناوين محمّد عفيفي مطر الشعرية، بحيث إنّ المتلقّي يجد نفسه مضطرّاً ليلجأ إلى تأويل عناصر التراكيب بغية استنطاق ما سكت عنه العنوان ثمّ الانفتاح على دلالاته العميقة عبر اختراق بنيته السطحية. يستخدم الشاعر في عرض عناوينه الشعرية أسلوباً لغوياً منزاحاً في طريقة الكتابة بحيث تحتاج قراءة شعره من العناوين حتّى نصوصها إلى القدرة اللغوية وقدرة الخيال المجنّح، في الواقع «اختار عفيفي مطر طريقاً صعباً في الكتابة، لأنّ الشعر ـ من وجهة نظره ـ تتطلّب قراءته ثقافةً لغويةً خاصّةً وتركيز الانتباه وتكثيف وشحذ الذاكرة وقدرة الخيال على التفكيك وإعادة صياغة العناصر المكوّنة للقصيدة» (داود، ٢٠١٠: مؤسّسة الأهرام)، وهذه الميزة الإبداعية عنده في اختيار العناوين مغرية ولافتة العناية لمتلقٍّ يولع بالعلامات والألغاز؛ لذلك يرى أنّ الشاعر يكسب جميع عناوين دواوينه الوظيفة الإغرائية وبينها تنتشر هذه الوظيفة في اختيار عناوين القصائد أيضاً كما يدلّ الجدول التالي على مدى تحقيقها من وجهتين سالفتين في ١٣٥ عنواناً رئيساً لقصائده:

1. La deductive Fonction
2. La connotative Fonction.

www.SID.ir

Archive of SID

الرتبة	الديوان	عناوين القصائد	النسبة %	الرتبة	الديوان	عناوين القصائد	النسبة %
١	الجوع والقمر	الشمس الّتي لا تشرق «شظايا»، الصوت والقمر اللصوص، الجوع والقمر، حواجز منتصف الليل، مدخل إلى دفتر الصمت، الزفاف الدمويّ، دلتا النهر الأسود، مكابدات كيخوتية، الدوّامة «شظايا».	٦/٦٦٦	٨	والنهر يلبس الأقنعة	سهرة الأشباح، وشم النهر على خرائط الجسد، مهرة الحلم، حلم تحت شجرة النهر.	٢/٩٦٢
٢	يتحدّث الطمي	اختراق مملكة محرّمة، دمّ على الأيدي، مهر الصيف، كوكب أحمر، تجسّدات من الريح القديمة، ثنائية القمر والعنف، مردود الأغنية، طقوس وأحراز شخصية.	٥/٩٢٥	٩	رباعية الفرح	فرح بالماء، فرح بالنار، فرح بالتراب، فرح بالهواء.	٢/٩٦٢
٣	ملامح من الوجه الأمبيذوقليسي	عقم الاخضرار والتجسّد، في المعرفة المرّة، صوت الخيبة، منظر صغيرة من ساحات مدينة ميتة، لو، مرثية إنسان الشمس القديمة، كتاب المنفى والمدينة.	٥/١٨٥	١٠	أنت واحدها وهي أعضاؤك انتثرت	موت ما لوقت ما، مدخل في بكاء السلالات، جسدان وثالثهما، غنائية حجر الولاء والعهد.	٢/٩٦٢
٤	رسوم على قشرة الليل	خطوات مقتلعة، مملكة اليأس، سفر في الظهيرة، أغنيات من زمن السنابل المحترقة، الحصان والجبل، مملكة الانتظار والرعدة، مديح ثدي.	٥/١٨٥	١١	من دفتر الصمت	جريمة في غرناطة، عذراء الصمت.. والصمت، في أرض الموت، مذكّرات إبريق	٢/٩٦٢
٥	من مجمرة البدايات	فردوس.. بائعة المانجو، قبض الريح، غواية مستحيلة، من أغاني الحواكير، كلمات حبلى، الخصب وعودة الضحايا، من ذاكرة الأرض.	٥/١٨٥	١٢	كتاب الأرض والدم	إيقاع الغرق، كتاب السجن والمواريث، الحصان والرأس، رفع القمع عن فراشة الدمع.	٢/٩٦٢
٦	احتفاليات المومياء المتوحّشة	احتفاليات المومياء المتوحّشة، طقوس متقابلة، هلاوس ليلة الظمأ، الموت والدرويش، إيقاعات الوقائع الخنومية.	٣/٧٠٣	١٣	شهادة البكاء في زمن الضحك	إيقاعات مرثية من حدائق الصوت والصدى، مصادرات على مصير، اليمامة الدامية.	٢/٢٢٢
٧	فاصلة إيقاعات النمل	اصطلاء النشيد، اكتملْ ذبيحاً، درعية المديح، فاصلة إيقاعات النمل.	٢/٩٦٢	١٤	من حوارات الصاعقة الخضراء	ملك الأمطار، الوجه الهارب.	١/٤٨١

إنّ استقصاء العناوين العاليا يتعرّض لعدّة احتمالاتٍ في مستوى تأويلٍ يمارسه المتلقّي وذلك أنّ أوّل عمليةٍ يحاول ممارستها عند تلقّي هذا العنوان كعلامة، هي التفتيش عن الأواصر والعلاقات الّتي يلاحظها بين المفردات والعناصر، في كلمات مثل «المجمرة» وعلاقتها مع «البدايات» وأيضاً توظيف مفردة «كلمات» وعلاقتها مع «حبلى»، وعادةً تبدو العلاقة بينها علاقةً مشابهةً على سبيل التشبيه والاستعارة (دلالة استعارية) أو غير المشابهة

www.SID.ir

Archive of SID

على سبيل المجاز والكناية؛ لذلك يتيح أسلوب خطابه الشعريّ في العنوان فرصة الخروج على النمط المألوف في تأدية الألفاظ والتراكيب اللفظية وطريقة تنضيدها.

من جهةٍ أخرى يمكن أن يرى المتلقّي في هذه العناوين مدى الخرق الدلاليّ الماثل بين مفرداتها أي التناقض الّذي يربط بين كلمتين متنافرتين أو كلماتٍ متنافرةٍ دلالياً، على سبيل المثال وردت البنية التكوينية لعنوان «كلمات حبلى» على شكل جملةٍ إسميةٍ ذات مركّبٍ إسميٍّ يتشكّل من كلمتين، الأولى «كلمات» والثانية «حبلى» وهي أيضاً كلمة وافية الدلالة كموصوفها؛ فالعلاقة الّتي تجمعها في كلمتين وصفيتين، لا ترتبط ببضعها في عالم الواقع. أو عنوان «احتفاليات المومياء المتوحّشة» يقوم على تقابلٍ ثنائيٍّ مترابطٍ بين الاحتفال والتوحّش، هذا العنوان المستحدث وأيضاً العناوين الأخرى الّتي تتابعه في خرق العادة كـ«من دفتر الصمت، صوت مذبوح، مذكرّات إبريق، الوجه الهارب، يتحدّث الطمي وفصل المبتدأ المؤخّر...» تجذب القارئ إلى الانغماس في أغوار النصّ هادفةً إلى الكشف عن دلالاته العميقة؛ لأنّ العنوان هكذا يكون «نظاماً سيميائياً ذا أبعادٍ دلالية، وأخرى رمزية، تغري الباحث بتتبّع دلالاته، ومحاولة فكّ شيفرته الرامزة» (قطوس، ٢٠٠١: ٣٣). إنّ الخرق الدلاليّ الّذي يخلقه الشاعر في هذه الوظيفة بين مفردات العناوين المعنية يدلّ على بعدها عن اتّباع الوظائف المعجمية واقترابها من العلاقات المشابهة أو غير المشابهة الّتي تغطّي التنافرات وتربطها بطريقةٍ غير اعتياديةٍ.

مستويات توظيف العنوان:

ولإظهار العنوان الأكثر فهماً وتفسيراً في شعر محمّد عفيفي مطر، لا بدّ من مقاربة توظيفه في مستوياتٍ سيميائيةٍ تزيد من حيوية بنائه بجانب دينامية وظائفه الرافدة وهي تشمل على الإطلاق المستوى البصريّ والمستوى المعجميّ والمستوى التركيبيّ كما سيأتي تطبيقها في ما يلي:

المستوى البصريّ:

أوّل خطوةٍ يخطوها محمّد عفيفي مطر على قالب المستوى البصريّ (المستوى الكاليغرافيّ أو الأيقونيّ) لعناوينه هو استنطاق عناوينه الخارجية والداخلية واستقراؤها بصرياً في شكل لوحاتٍ تشكيليةٍ تنصبّ على الترميز (الغموض) والتدليل (الوضوح). تظهر صفحة عناوينه في مكانها الخاصّ على النظام الطباعيّ المعتاد الّذي يفيد بأنّ «الأمكنة الّتي يتموضع فيها العنوان وفقاً للنظام الطباعيّ المعمول به، فهي أربعة أماكن: ١. الصفحة الأولى للغلاف ٢. في ظهر

www.SID.ir

Archive of SID

الغلاف ٣. في صفحة العنوان ٤. في الصفحة المزيفة للعنوان[١]» (بلعابد، ٢٠٠٨: ٦٩-٧٠)، بحيث يمكن على أساس هذا التصنيف وعلى أساس ما تمّ الحصول عليه من الطبعة الأولى من مجموعاته الثلاث المنشورة سنة ١٩٩٨م أن يتابع مدى وضوح صورة العناوين أو غموضها في عناوينها الخارجية والداخلية كما يلي:

صورة العنوان الخارجيّ:

لقد جاءت صورة العناوين الخارجية في شعر عفيفي مطر مترجّحةً بين الوضوح والغموض بحيث تتغلّب جوانب وضوح العناوين على غموضها. ما يدلّ على غموض العناوين وضبابيتها الّتي لا تنقشع في شعره، يعود إلى فقدان القائمة العنوانية في المجموعة الثانية والثالثة من دواوينه ثمّ عدم تصنيف عناوين الدواوين الداخلية وفصلها عن عناوين القصائد بحيث يصعب على القارئ المتورّق لمجموعاته الثانية والثالثة – وهو لا يعرف عنوان دواوينه بالضبط -كي يميزها عن عناوين القصائد الرئيسة، طبعاً يوجد هذا النقص التوجيهيّ في كتابة قائمة العنوان للمجموعة الأولى وعناوينها الداخلية؛ لأنّ الشاعر لم يعين فيها عناوين الدواوين والقصائد بوضوحٍ كاملٍ وما زالت صورة العناوين تعاني من غياب القواعد الخطّية واللونية الصارمة، على سبيل المثال جاء في القائمة العنوانية أوّل عنوان من عناوينه ـ وهو يخصّ ديوانه الأوّل الموسوم بديوان «من مجمرة البدايات» ـ بهيئةٍ كاليغرافيةٍ وسمك خطيٍّ غامقٍ يشبه ما ينطوي عليه هذا الديوان من قصائد تحته مثل «فردوس.. بائعة المانجو»، «قبض الريح»، «رسالة إلى شاعر سجين»، «الملكة واللوردات» كما تجري هذه المسيرة في العناوين الأخرى من القائمة وأيضاً في العناوين الداخلية بحيث يمكن عدم التمييز الواضح بين العناوين أن يبعث في القارئ على تردّدٍ والتباسٍ في اعتبار أيٍّ من عناوين القصائد اللاحقة عنواناً لديوانٍ جديدٍ.

أمّا ما يخصّ الوضوح في عناوينه فيبدأ الشاعر بالقائمة أو الفهرسة العنوانية الّتي يمكن الالتقاء بها في المجلّد الأوّل فحسب. والآخر هو صورة العنوان في الغلاف وفي ظهره من مجموعاته الثلاث وهي أوّل ما يصادفه القارئ قبل تورّق النصّ ويبوح بما يمكن أن يختفي ويصمت في النظرة الأولى؛ لأنّ صورة الغلاف (اللوحة الفنّية) وكتابة العنوان فيه بمنزلة «فاتحة نصّية بصرية، يتداخل فيها نظام الأدلّة والرموز مع فضاء النصّ» (فلاح،

١. الصفحة المزيّفة للعنوان هي الصفحة البيضاء الّتي تحمل العنوان فحسب.

www.SID.ir

Archive of SID

٢٠١٢: ٦٠). ارتسمت عناوين ثلاث مجموعاته الشعرية بسيطةً دون أن يتعقّد فيها المستوى البصريّ؛ إذ تتمثّل مكتوبات صورة الغلاف لمجموعة أعماله الشعرية الأولى بشكلٍ عموديٍّ في صفحةٍ بيضاء تضمّ كتابة العنوان وسط الصفحة ثمّ كتب أعلاه اسم دار النشر (دار الشروق)، اسم المؤلّف مع ذكر مركّب «الأعمال الشعرية» الّذي خُطّ باللون الأبيض في نطاقٍ ملوّنٍ باللون الأسود ليدلّ على بوارق الأمل في ظلمات الخيبة والألم، جميعها من الإيحاءات السيميائية المتعدّدة الّتي تشيد صورة العتبات النصّية المصاحبة للعنوان كما يلاحظ في الصورة التالية:

لقد تغلّب على الصورة العليا طابع التعريف والتقديم، وكأنّ الشاعر يعِدّ متلقّيه للقضايا الأساسية الّتي يريد إشعارها ويبديها من خلال المقطع الثاني من صورة المجلّدات الّتي يزخرفها بأحد العناوين من دواوينه. يختار الشاعر في عنونة الغلاف الأعلى عنوان أحد دواوينه الأربعة وهو عنوان «من مجمرة البدايات» على خطابه ودلالته المستوحية. لقد جاء العنوان الرئيس وسط الغلاف فهو من أكثر الأمكنة توظيفاً له؛ فموقع توسّط العنوان في الغلاف «أكثر المواقع إثارةً لانتباه المتلقّي، وهي المنطقة الّتي يتركّز عليها النظر بغية رؤيةٍ شموليةٍ وعامّةٍ» (التونسي جكيب، ٢٠٠٠: ٥٩٣). وتحت العنوان جاءت صورة الشاعر الّتي التقطت في نضارة شبابه بحيث إنّ حضور الرسم الشكليّ للشاعر (أيقونة الشخص) في العنوان يجعله في غايةٍ من النصاعة.

يتابع الشاعر هذا النمط من تصوير العنوان في غلاف المجموعتين الأخريين، ولكن لا يزوّدهما بصورته الشخصية، طبعاً يميل إلى وضع أحد العناوين في المجموعتين لكليهما، أي خصّص غلاف المجموعة الثانية بديوانه الأوّل «ملامح من الوجه الأمبيذوقليسيّ» وغلاف المجموعة الثالثة بديوانه الأخير «احتفاليات المومياء المتوحّشة». لقد اختار الشاعر عنوان «ملامح من الوجه الأمبيذوقليسي» لكتابة مجلّده الثاني لغرابته اللغوية المثيرة وقرابة وجهة نظر شعريةٍ يراها الشاعر متّسقةً مع ما يقدّمه أمبيذوقليس (الفيلسوف والشاعر اليونانيّ)

www.SID.ir

Archive of SID

عن العالم والوجود[١] ثمّ يضع عنوان «احتفاليات المومياء المتوحّشة» لمجلّد مجموعته الثالثة على أنّه ديوانٌ أخيرٌ يسرد محنة اعتقاله وتعذيبه في السجن ليدلّ كتابةً على هذا الختام ويتحدّث عن الهاجس المسيطر عليه من خلال فترة متزمّتة.

في الصفحات البدائية الّتي تسبق عنوان الديوان الأوّل يعاد إنتاج صورة العنوان النائب عن عناوين الدواوين الأخرى في أيّ مجموعةٍ طبق الأصل، طبعاً يقع عنوان المجموعة الأولى في وسط الصفحة البيضاء والعنوانان من المجموعتين الأخريين يأخذان في حالة الهبوط والانكماش تحتها بريشةٍ قياسها ونوعها يختلفان عمّا يتبعه الشاعر في النصّ أي تتمثّل العناوين بزواياها الملتوية والانحناءات المزخرفة والمفردات المشكلّة تماماً كما يلي:

بما أنّ طريقة كتابة العنوان ونوع خطّه ولونه يساعد على تشكيل العنوان البصريّ، فقد جاءت هذه العناوين العليا على خطٍّ كوفيٍّ أسود غامقٍ بين نطاقٍ واسعٍ أبيض يضيف إلى دلالة العنوان؛ لأنّ «الشعر العربي المعاصر قد اتّخذ من صراع البياض والسواد مكاناً يفرغ فيه معاني القصيدة ومعاني العنوان» (سعيدة، ٢٠١٣: ١٣٢) هذا السواد الغامق في العناوين العليا يدلّ على حزنٍ وشجنٍ ينتشر في جميع أرجاء الحياة الحلمية والبيضاء الّتي يبحث عنها الشاعر في شعره، ولكن ما زالت تخيم عليها ظلال العتمة والدمار؛ في الواقع «هذه المهارات والتقنيات الشكلية في هيئة كتابة القصيدة بمثابة الإمكانات الواسعة والقدرات الفائقة الّتي خطت بالشعراء خطوات واسعة في مجال التعبير عمّا طرأ على الواقع الإنسانيّ المعاصر من تعقّدٍ فكريٍّ وزخمٍ شعوريٍّ وصراعٍ نفسيٍّ» (عبد الفتاح، ٢٠٠٩: ٣٦١)؛ فلا يبدو أن

---

١. «تجربة تستلهم الخِطاب الأمبيذوقليسي- الهيراقليطي- النيتشوي الفلسفي/الشعري/الشذري كمتابعة ربما للخيط الذي بدأ مع عفيفي مطر في ديوانه «ملامح من الوجه الأمبيذوقليسي»، الذي تأثّر فيه بدوره بأسلوب فلاسفة ما قبل سقراط، الذين كتبوا فلسفاتهم شِعراً، وشِعرهم فلسفةً، والذين استلهمهم قبل عفيفي مطر فردريك نيتشه» (صياد، ٢٠١٧: موقع صحفي)، تأثّر الشاعر بهذه الفكرة من أفكار أمبيذوقليس على قلب الحياة وتصوير بنية جديدة يموج فيها الفوضى والبلبلة في جميع الأصعدة الحاليه حتّى في صعيد الخلق؛ فهو يتحدّث عن أرض برزرت عليها رؤوسٌ كثيرةٌ بلا رقابٍ وتهيم أذرعٌ منفصلةٌ بلا أكتافٍ أو تتولّد فيها مخلوقاتٌ لها وجوه البشر، والبشر لهم رؤس الحيوانات وتمتزج بين المخلقوات طبيعة الأنثى بطبيعة الذكر و... (عفيفي مطر، ١٩٩٨: ج٦/٢).

www.SID.ir

Archive of SID

يكون اختيار الخطّ الأسود في هذه العناوين من محطّ الصدفة، لأنّه لونٌ مهمومٌ يوحي بالحياة الصعبة الّتي تتلاشى فيها الآمال والأحلام؛ فيستعين به الشاعر ليعبّر بصرياً عن دلالاتٍ وزوايا فكريةٍ مأساويةٍ تروم أن تسلب منه بصمات الوضوح والسفور.

صورة العنوان الداخليّ:

إنّ الصورة في العناوين الداخلية الّتي يضعها الشاعر في نصوصه ذات علامةٍ بصريةٍ تنعم بالمفردات اللغوية واضحة المعنى والقراءة أي لها خطاب بصريّ يرتبط بعلاقةٍ محكمةٍ مع نصوصه. يكتب كلّ عنوانٍ داخليٍّ في شعر محمّد عفيفي مطر بخطٍّ سميك مغاير يزيد عليه اللون الأسود القاتم الّذي ينفصل عن الفضاء النصّيّ ليستدعي الوقوف والتمكّث في البدء ثمّ يؤديّ وظيفته الإغرائية البارزة. فضلاً عن ذلك تشغل الشبكة العنوانية في كلّ ديوانٍ داخليٍّ أو قصيدةٍ داخليةٍ من أعماله حيزاً مكانياً محدّداً يمكن تقسيمه إلى ثلاثة ضروب بشكلٍ عامٍّ: ١. العناوين الّتي تتموضع وسط صفحةٍ بيضاء لتكون أوّل ما تقع عليه عين القارئ ويشدّ انتباهه وهي تشمل جميع عناوين دواوين الشاعر وقصائده الرئيسة. ٢. عناوين القصائد الرئيسة والفرعية الّتي تقع أعلى الصفحة منزاحةً إلى جانب اليسار عادةً بوصفها عتبةً تطلّ على النصّ لتكون لوحاتٍ إشهاريةً وإعلاميةً مقتنصة أنظارٍ نحو نصوصٍ تلحقها، منها العنوان الرئيسي لقصيدة «بكائية» الّتي تنزاح كتابته إلى جهة اليسار أو العناوبن الفرعية لقصيدة «أغنيات من زمن السنابل المحترقة» والّتي تنزع إلى الجهة نفسها. ٣. العناوين التوجيهية أو المرشدة الّتي تنتج عن عناوين القصائد الرئيسة وتتبدّل إلى عناوين فرعيةٍ مرقّمةٍ أو غير مرقّمةٍ تتمظهر بعد أيّ مقطعٍ من مقاطع القصيدة، وفي هذه الحالة يجسّد العنوان والنصّ فضاءً دلالياً مشتركاً يسهم بعضهما في إكمال بعضٍ كقصيدة «الملكة واللوردات وآخرون، كلمات حبلى، مكابدات كيخوتية، كتاب الغزل و...».

المستوى المعجميّ:

يدلّ المستوى المعجميّ على كلماتٍ منتقاةٍ تستخرج من النصّ مباشرةً وهي تمنح عناوين محمّد عفيفي مطر الشعرية مفتاحاً تأويلياً يعرّف القارئ إلى نسيج النصّ الداخليّ والخارجيّ، ويفصح عن قصدية مفرداته المثيرة وتماسكها؛ لأنّ العنوان من خلال معطياته المعجمية يجد نوعين من الدلالة وهما يشملان العلامة الّتي تحدّد العلاقة بين العنوان والنصّ، ثمّ التأثير الّذي تجلو فيه العلاقة بين العنوان والقارئ (حسنية، ٢٠١٤: ٢٢٩). تتميز أهمية العنوان في شعر محمّد عفيفي مطر بما فيه من إشاراتٍ وعلاماتٍ لغويةٍ يكثر دورانها

www.SID.ir

Archive of SID

في القصائد وهي تعلو نصوصه وتسمه بمجموعة من الدلالات السياقية. تتألّف عناوينه من ٦٥٧ لفظةً تتوزّع مكوّناتها فيما يلي: الأسماء ٣٧٦، منها ٢٧٣ إسم معرفة و١٠٣ أسماء نكرة، والأفعال ١٣، منها فعل ماض واحد و٩ أفعال مضارعة و٣ أفعال أمر، ثمّ تخصّ سائر الألفاظ للحروف العاملة وغير العاملة. تثبت القراءة الإحصائية هيمنة الأسماء على الأفعال لما في الجمل الإسمية من سماتٍ إيحائيةٍ ورمزيةٍ يرغب الشاعر من توظيفها بدلاً من وضوح المعنى في الأفعال، فلا يميل الشاعر إلى استخدام الأفعال في عناوينه إلّا في الضرورة وبينها يأتي فعل المضارع عادةً متناسباً مع كيفية مستوى العالم التخييليّ مثل «ماذا يقول منتصف الليل»، «الشمس الّتي لا تشرق «شظايا»»، «وطن لمن يشاء» و«هذا الليل يبدأ» و... لما فيها من إشاراتٍ سرديةٍ ترد في بؤرة الزمن اللغويّ المرتبط بموضوع الأحداث والأوصاف.

الدلالة المعجمية:

فضلاً عن الجانب الشكلانيّ في دراسة ثروة المفردات العنوانية تجلو في معرفة الحقل المعجميّ نظرية الارتباط الدلاليّ أو الصلة الدلالية بين المفردات الّتي يجمعها لفظٌ عامّ في نطاق محدّد وهي تنتج ما يسمّى بالدلالة المعجمية[1] (الكراعين، ١٤١٣: ١٠٣). يتكوّن حقل الدلالة المعجمية في عناوين محمّد عفيفي مطر من المفردات الثرية الناجمة عن خياله الخصب وتجاربه الفنّية وعواطفه الملتهبة الّتي جعلته يصل بلغته إلى وحدةٍ دلاليةٍ من المواضيع المتعدّدة عابراً بالألفاظ الجامدة إلى دلالاتٍ مفعمةٍ بالحياة؛ فمن يمعن النظر في عناوين الشاعر يجد أنّ معجم مفرداتها ينتمي إلى فضاءاتٍ وحقولٍ واسعةٍ يظهر الرسم التالي هذا الزخم من الاهتمام بها:

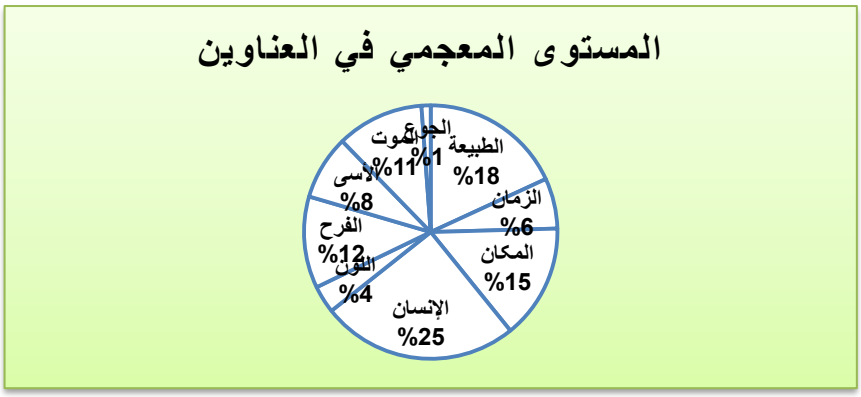

1. Lexical Semantic.

www.SID.ir

Archive of SID

يلاحظ من خلال النسبة المئوية في الرسم الأعلى طغيان الحيز الدالّ على الإنسان أو ما يقع في الحقول المتدرّجة الدلالة[١] عليه كاليد في عنوان «دم على الأيدي» أو الوجه في عنوان «الوجه الهارب»، أو الجسد في عنوان «رحلة جسد الشاعر اللقتيل»، لكنّ عناية الشاعر المباشرة بالإنسان تنسال إلى مجالاتٍ مأساويةٍ عديدةٍ كالشعرية في عنوان «رسالة إلى شاعر سجين»، أو التراث الدينيّ في عنوان «المسيح في أحراش أفريقيا»، أو الرثاء في عنوان «مرثية إلى أنور المعداوي»، فإنّ الرغبة في استخدام الشخصية أو الإنسان تجد أكثر تبلوراً في الخطاب والدلالة العامّة، وقلّما يلحظ تواجد اسم العلم في العناوين كـ "حمدون القصار" و"حديث من ألقبيادس".

يعبّر الشاعر عن الطبيعة في عناوينه بعلاماتٍ معجميةٍ واضحةٍ وهي تنتشر في العناوين الأصلية والفرعية كعنوان قصيدة «شجرة الأسلاف» في ديوان "يتحدّث الطمي" أو عنوان «البومة» الفرعيّ في قصيدة «مدخل إلى دفتر الصمت». إنّ الموضوع اللافت لحقول الطبيعة في عناوين الشاعر هو اعتماده على رمزية مفردات الطبيعة في تراكيب وجملٍ مبدعةٍ ينشئ من خلالها نظاماً حركياً انزياحياً يتناقض مع العادة وذلك لدى الشاعر المعاصر ليس عمليةً مدهشةً؛ لأنّ الطبيعة «هي نظامٌ حركيٌّ ومتناقض الفضاءات، فإنّها عندما تأخذ طابعاً رمزياً تجسّد لنا متناقضات العالم وتأويلات الإنسان المعاصر» (صدقي ونصاري، ٢٠١٣: ١١٩)؛ فيهدينا تتبّع عناصر الطبيعة إلى ثنائيات ورموز في عناوين ك «قبض الريح»، «ماذا يقول منتصف الليل»، «في أرض الموت»، «يتحدّث الطمي»، «انتظار شجرة»، و... ممّا ينجم عن سماتٍ واقعيةٍ تتعلّق بالحياة، لكنّ الشاعر يرغب في تغيير وظائفها وصنعها من جديدٍ.

المستوى التركيبي:

يهدف المستوى التركيبيّ في عناوين محمّد عفيفي مطر إلى تحليل البنى النحوية أو التركيبية عن طريق رصد كيفية تضافر البنى الأسلوبية وفحص القواعد الّتي تتكوّن من خلالها البنى اللفظية للعناوين وتتّسق معاً. لقد تمكّن الشاعر أن يتصرّف في هذه القواعد بنوعٍ من الحرية الّتي تفسح له مجال التعامل مع أسلوبه بسعةٍ ومرونةٍ؛ فيجلب في عتباته العنوانية ٢٦ عنواناً مفرداً يتنوّع في موضوعاته ولا يمكن حصره في موضوعٍ محدّدٍ، ثمّ يستخدم ١٤٦ عنواناً مركّباً

١. الحقول المتدرّجة الدلالة هي «الّتي تكون فيها العلاقة متدرّجةً بين الكلمات فقد ترد من الأعلى إلى الأسفل أو العكس أو تربط بين بنائها قرابة دلاليّة، فجسم الإنسان كمفهومٍ عامٍّ يتجزّأ أو ينقسم إلى مفاهيم صغيرةٍ (الرأس، الصدر، البطن، الأطراف العلويّة، الأطراف السفليّة) ثمّ يتجزّأ كلٌّ منها إلى مفاهيم صغرى (منور، ٢٠١٤: ٩٠).

www.SID.ir

Archive of SID

يحظى بمساحة تأويلٍ أوسع من سابقه؛ فبما أنّ تناول هذين النوعين من العنوان وتفضيل أحدهما على الآخر ليس في مبتغى هذا الموضوع ومع ملاحظة أنّ العنوان المفرد لا يتميز بتكثيف العدد وجودة الدلالة في عتباته العنوانية، تتوجّه الدراسة إلى أهّم صورٍ تركيبيةٍ تحتاج إلى وقوفٍ أكثر لفتح مغاليقها وسبر آفاقها وهي تشمل التركيب الإسميّ والتركيب الجمليّ:

التركيب الإسميّ:

إنّ المراد بالتركيب الإسميّ هو التركيب الإفراديّ الّذي يقابل بنية الجملة أو المركّب الجمليّ؛ لذلك «تقوم التركيبات الإسمية في الجملة، بوصفها وحداتٍ إسميةً، بجميع ما يقوم به غيرها من الوحدات الإسمية من أدوارٍ. إنّ بوسعها أن تكون مبتدأ، أو خبراً، أو مفعولاً به أو تقع بعد حر جرٍّ» (بيستون، ٢٠١٧: ١١٩). لقد ورد في العتبات العنوانية لقصائد الشاعر ٨٨ مركّباً إضافياً (المجموعة الأولى ٣٧ مركّباً، والمجموعة الثانية ٢٥ مركّباً، والمجموعة الثالثة ٢٦ مركّباً) و٥٥ مركّباً وصفياً (المجموعة الأولى ٣٢ مركّباً، والمجموعة الثانية ٨ مركّبات، والمجموعة الثالثة ١٥ مركّباً)، ٢٥ مركّباً عطفياً (المجموعة الأولى ١٢ مركّباً، والمجموعة الثانية ٩ مركّبات، والمجموعة الثالثة ٤ مركّبات)، ويبدو أنّ عدد هذه المركّبات مثيرٌ للدهشة في مجموعة عنايات الشاعر بالأساليب النحوية.

إنّ اللافت في تراكيب هذه العناوين هو التزام الشاعر بعلاقةٍ سيميائيةٍ يجب أن تكون بين الدالّ والمدلول الوصفيين والإضافيين بحيث إنّ الدالّ الّذي يمكن أن يتبلور في المضاف أو المضاف إليه، وفي الموصوف والصفة كليهما، يكون موجّهاً أساسياً لإنتاج الدلالة العنوانية، فعلى سبيل المثال في عنوان قصيدة «عودة الضحايا» يجلو أنّ دالّ (الضحايا) فضلاً عن إكساب (العودة) ميسم التعريف، تعطي إضافة كلمة «الضحايا» للعودة عمقاً للأحزان والمباهج العارمة، أو في عنوان قصيدة «الزفاف الدمويّ» ينتقل فيه دالّ «الدمويّ» على مستوى الدلالة إلى لازمةٍ دلاليةٍ رامزةٍ للمضاف «الزفاف» أو إسناد الموصوف إلى مفردةٍ لا تناسب حقله الدلاليّ وهذا يعني تحوّل معنى الزفاف عند مبادرة تعريفه إلى اختصاص العنوان بمدلول المفارقة الدلالية بين الحفلة والكارثة.

إنّ الصورة في بعض المركّبات الإسمية لعناوين الشاعر واضحةٌ مكتملة المعنى إطلاقاً بحيث إنّ القارئ عبر قراءة العنوان يقف على مدلوله وغاية إنشاده، منها عنوان قصيدة (الطفل والحزن «إلى عامي الخامس والعشرين») الّذي يشير بعلانيةٍ إلى المشروع المفهوماتيّ

www.SID.ir

Archive of SID

الّذي يقصد الشاعر بسطها من خلال النصّ، أو عنوان «موت اللورد بيرون» الفرعيّ من قصيدة «الملكة واللوردات» يتّضح فيه جلياً أنّ النصّ ينمّ عن اتّساع كارثة الموت للشخصية المعنية. مع ذلك أنّ الصورة في كثيرٍ من هذه التراكيب تحتاج إلى فحوى النصّ بغية اكتمالها وحصولها على مزيدٍ من المعرفة والثقة؛ في الواقع يثير تركيب العنوان بهذه الهيئة في ذاكرة المتلقّي سؤالاً وصراعاً مضموناً لا تنكشف إجابته إلّا في بطن القصيدة، ومن ذلك ما يرى في المركّب الوصفيّ لعنوان قصيدة «تحت السماء البيضاء» الّذي يبدو أنّ الكلام في بنائه التركيبيّ ناقصٌ حتّى إنّ الشاعر يزيل الستار عن مبتغاه في نهاية النصّ حين يقول:

فيسْكِرُني عَصِيرُ الشَّمْسِ وَهِيَ تَطِيرُ تَحْتَ سَمائهَا البَيضاءِ.. (عفيفي مطر، ١٩٩٨: ج١/٣٢٨)

كما يتّضح أنّ المركّب الوصفيّ في العنوان يعاني ثغرةً دلاليةً، وهذه الثغرة لا تسّد في تركيب العنوان، إلّا بما يأتي في نهاية النصّ ويبوح عن المبتدأ المحذوف «الشمس» الّتي تطير في السماء البيضاء ليجعل قارئه يتابع القصيدة على بكرة أبيها.

النموذج الآخر هو عنوان قصيدة «الجوع والقمر» الّذي يتمظهر في صيغة المركّب العطفيّ الّذي يوفّر شيئاً من التساؤل في ذهن القارئ، أي ما هي العلاقة بين الجوع والقمر؟ وما يريده الشاعر من اختيار العنوان بهذا الشكل؟ ممّا يحثّه على الولوج في متن القصيدة بحثاً عن الغرض المكتوم في هذا السياق الانزياحيّ الغامض وهو لا يجد الإجابة إلّا في الأجزاء الداخلية من القصيدة ولاسيما كالسابق في خاتمتها حين يقول الشاعر:

هذا قَمَرٌ/ فَمَشَى بهِم.. خُطَواتُهُ فِي الرِّيحِ جِسْرٌ لا يرَى/ أَلْقَى عَباءتَهُ عَلَيهِم وَانْتَفَضَ/ لَمْ يشْعُروا بِالموتِ وَهُوَ يطيرُ فِي جَوفِ السَّماءِ/ رَقَصُوا بِكفَّيهِ وَنادَوا:/ (يا قَمَرُ/ هِبْنا الذُّرَّةَ/ هِبْنا الذُّرَّةَ) (عفيفي مطر، ١٩٩٨: ج١/١٨٧)

تمثّل المركّب العطفيّ (الجوع والقمر) هنا في المسند إليه الّذي بحاجة إلى ما يلي ليكمل معناه ويكشف عن شيفرة العلاقة بين المعطوف والمعطوف عليه، فيرسم الشاعر قبل هذه الوحدة تعاسة أحوال مواطنيه وجوعهم البالغ، فحينئذٍ ليسدّ جوعهم، يستعين بالقمر ودوره الرمزيّ التقليديّ الّذي كان الشعرآء يستلهمونه منذ القدم لاستخراج مضامين شعوريةٍ مرهفةٍ تتناسب مع هذا الموقف (إشتيه، ٢٠١٠: ١٠٨)، لكنّ القمر يلازم هنا الخصائص الإنسانية على سبيل الاستعارة بلوازم ك (مشى بهم، خطواته، ألقى عباءته) لينسى توظيفه الاعتياديّ المنحصر في الجمال والسطوع، ويمسك برمز منقذٍ سماويٍّ يناديه الجياع في مواقف الشدّة ويسألونه العون والطعام.

www.SID.ir

Archive of SID

التركيب الجمليّ:

قد تعدل عناوين الشاعر عن العلاقات المنطقية المعتادة بين المفردات لتكون مركّبةً مشتملةً على جملة إسمية وفعلية مغرية؛ إذ إنّ «تركيبية العنوان قد تحيلنا إلى غير ما هو مألوفٌ وشائعٌ في أسلوب العنونة في الأدب العربيّ» (بخيت والآخرون، ١٤٣٤: ٢٩). تميزت عناوين الشاعر بهيمنة الجمل الخبرية على الجمل الإنشائية الّتي لا تتجاور ٥ جملٍ، وكثافة توظيف الجمل الإسمية الّتي يبلغ عددها ١٥٤ مركّباً (المجموعة الأولى ٩١ مركّباً، والمجموعة الثانية ٣٣ مركّباً، والمجموعة الثالثة ٣٠ مركّباً) تُعرف أشكاله باشتغال العناوين على آلية الحذف النحويّ وبالذات حذف المبتدأ. إنّ هذا الحذف يترك فجوة في معرفة العناوين الصائبة وتجعل القارئ - مثل ما تقدّم في المركّبات الإفرادية - عرضةً لتساؤلاتٍ دلاليةٍ تحتاج إلى ردمها وإجابتها. تحتلّ عناوين القصائد الّتي حُذف فيها المبتدأ مكانةً شاهقةً بحيث إنّ عناوين الجملة الإسمية المكتملة مع تواجد ركنيها جاءت مقتصرةً على ثلاث عناوين من قصائده وهي عنوان قصيدة «فردوس... بائعة المانجو» والعنوان الفرعي «المسيح في أحراش أفريقيا» من قصيدة «الملكة واللوردات»، كلاهما في ديوان «من مجمرة البدايات»، وعنوان قصيدة «هذا الليل يبدأ» هو العنوان الأخير في ديوان «احتفاليات المومياء المتوحّشة».

من عناوين القصائد الانزياحية الّتي حذف فيها المبتدأ أو المسند إليه متعمّداً، عنوان قصيدة «صوتان عن الحقّ» وهو مركّب إسميٌّ مكوّنٌ من خبرٍ لمبتدأ محذوفٍ، تقديره (هذا أو هذان) افتراضياً قبل قراءة النصّ ثمّ يليه (عن الحقّ) جارٌّ ومجرورٌ يحيل إلى معنى القداسة والعدل. يقدّم الشاعر في الخبر علامةً سيميائيةً تدلّ على تثنية المبتدأ، ولكن ما زالت هويتها صعبة المنال ومستعصيةً على الفهم وتطالب بالتفاعل والتجاوب مع النصّ والعودة إلى مقاطعه السردية. يتحقّق هنا تفاعل العنوان والنصّ في حين إنّ العنوان يعرض والنصّ يفسّر ما عرضه العنوان ويبقيه من دلالته ما يدعى «غائبةً ومراوغة، عصية على القبض» (العبيدي، ٢٠٠٩: ٦٣). لقدّ خصّ الشاعر هذا الخبر (صوتان) نكرةً ليضفي على الجملة مراوغةً تركيبيةً من مراوغات اللغة وهي تزيد من قصر الدلالة في الخبر. يحتاج عنوان هذه الجملة الإسمية في تضاعيف تركيبه إلى مجهولٍ معروضٍ غير مباشرٍ ويدفع القارئ إلى وضوحٍ أكثر وتعليقٍ أكمل عن المراد بصوتين يزيل الشاعر الستار عنهما في فاتحة القصيدة قائلاً:

www.SID.ir

Archive of SID

الحَقُّ قَدْ يقالُ مَرَّتَينِ/ فَمَرَّةً يقُولُهُ العَرَّافُ/ وَمَرَّةً يقُولُهُ السَّيافُ (عفيفي مطر، ١٩٩٨: ج٢/٨)

يهتمّ هنا الشاعر بخبر الجملة الإسمية الّتي أعلنه العنوان ويدع المبتدأ جانباً ليبدي بذلك حساسيته وعنايته الفائقة بالخبر وموضوعه؛ في الواقع قد يحذف المبتدأ في الجملة الإسمية ليعبّر الشاعر عن قلّة اهتمامه به قياساً إلى مضمون الخبر أو يفضّل حساسية الخبر عليه (محسني، ١٣٩٠: ج١/١٥٤)، وهنا حُذف المبتدأ ليكون ذهن القارئ مركّزاً على الخبر الّذي يسم عنوان الجملة الإسمية. يكشف هنا الشاعر عن قصده في عنوان «صوتان عن الحقّ» بتعليقٍ في مطلع القصيدة وهو يحيل فيه قول الحقّ إلى العرّاف والسياف لينتشل من العنوان الغامض حكمةً فلسفيةً يتأهّب القارئ أن يتقبّلها في مضمون القصيدة بجمالية الأسلوب الخبريّ.

لقد استخدم الشاعر الجملة الفعلية في عناوينه بندرةٍ ولا يتعّدى عدد توظيفها في مجموعاته الثلاث ٦ عناوين، ليبتعد قليلاً عن انحصار الملامح الذاتّية الّتي تتمثّل بجلاءٍ في الجمل الفعلية خلافاً للأسلوب الإسميّ الّذي يستطيع فيه الشاعر أن يهدف إلى الذات والموضوع معاً؛ إذ «يؤدّي الأسلوب الفعليّ مع فعله وضمائره ملامح ذاتية» (آذرشب والآخرون، ١٣٩٦: ١٤). يستعين الشاعر في عناوينه بفعل الأمر في ثلاثة مواضع وهي العنوان الفرعيّ (افتحي الشبّاك) لقصيدة «كلمات حبلي»، وعنوان قصيدتي «أكتبْ نافذة على مملكة الموت الآخر»، و«اكتملْ ذبيحاً»، وهي من الأفعال الّتي تحاول الإثارة والحركية بجانب دلالتها على المباشرة. يستفيد الشاعر من الفعل المضارع في مكانين وهما ديوان «يتحدّث الطمي» في مجموعته الأولى مع صيغة الغياب، وعنوان قصيدة «أترك لكم» الّذي يشي بدورٍ بارزٍ سيلعبه المتكلّم أو السارد في تسيير أحداث النصّ. بقي عنوانٌ واحدٌ ينتمي إلى الصيغة الماضية وهو عنوان قصيدة «لو كنت شاعراً» الّذي يقع في مجموعته الثانية ويتطرّق بطريقة السرد إلى رفض موقفه الحالي وتصوّر حالةٍ قبل الشاعرية.

النتائج

١. ترتبط وظيفة التعيين في شعر محمّد عفيفي مطر باختيار العناوين الرئيسة والفرعية الّتي يترجّح تواجدها بين الكثرة والقلّة، وهذه العناوين مهما كانت، تعين عادةً بجمع الألفاظ المتنافرة إلى جانب بعضهما.

www.SID.ir

Archive of SID

٢. يعين الشاعر العناوين الفرعية في القصائد لما فيها من وحدةٍ وسلسلةٍ متتاليةٍ تبعث على تسيير العناوين الرئيسة وتوسيعها، وهذه الميزة التسموية تنتشر في معظم عناوينه، غير أنّها قد تصل إلى حالة الضعف والتضاؤل أو حالة زوال الصلة بين تعيين العنوان الرئيس وعناوينه الداخلية.

٣. تحمل الوظيفة الوصفية في عناوين عفيفي مطر وظيفةً موضوعاتيةً وخبريةً تبحث عن مضمونٍ مشترك بين العناوين ونصوصها، وهي الميزة في عناوين الشاعر تشبه المهمّة الشكلانية الّتي تتجسّد في وظيفة التعيين وتلائمها؛ فقد تبلغ علاقة العنوان مع المضمون مبلغ التلاحم والتكامل، ولو قد تأخذ في حالة السقوط والكتمان.

٤. يشيد الشاعر الوظيفة الإغرائية في عناوينه بتحقيق الوظيفتين الإيحائية والانزياحية فيها، بحيث إنّ معظم ما يهمّه من خلال هذه الوظيفة هو جودة وصول العنوان وطريقة تعبيره إلى المضمون أكثر من المضمون ذاته؛ فيسود معظم عناوينه الخرق الدلاليّ ورفض التراتبية المألوفة الّتي لا تنحلّ لأوّل مرّةٍ بل يفرضه على الورود في أغوار النصّ كشفاً عن مبتغى تنسيقها.

٥. يعدّ التشكيل البصريّ إنجازاً هامّاً وجزءاً أساسياً من مشهد محمّد عفيفي مطر الشعريّ وهو من جهة الخارج يترجّح بين الغموض والوضوح. يجلو الغموض البصريّ في الضعف التوجيهيّ لكتابة عتبات المجموعات الثلاث أي فقدان القائمة العنوانية والالتباس الشكليّ للعناوين الرئيسة والفرعية، أمّا الوضوح البصريّ فيحكم العناوين الخارجية وتزيد من مداها صورة الغلاف، وصورة الشاعر والترتيب العمودي وبياض النطاق مع سواد الخط و... من تقنياتٍ كاليغرافيةٍ فيها.

٦. ومن جهة الداخل تأتي عناوين الشاعر بلونٍ أسود قاتمٍ وخطٍّ سميك يحمل وظيفة الإغراء ويقسّم إلى ثلاثة ألوان وهي عناوين الدواوين والقصائد الرئيسة الّتي تقع في وسط صفحةٍ بيضاء، وعناوين القصائد الرئيسة والفرعية الّتي تقع أعلى الصفحة، وأخيراً العناوين التوجيهية الّتي تجلو بعد بعض الوحدات الشعرية هدايةً لتسلسل الفقرات والمقاطع.

www.SID.ir

Archive of SID

٧. تفيد الوقفة السطحية في رحاب المعجم الشعريّ لعناوين الشاعر بهيمنة توظيف الأسماء على الأفعال لما فيها من قابلية تقبّل السمات الإيحائية والرمزية في الأسماء بدلاً من وضوح المعنى في الأفعال، وتفيد الوقفة الدلالية في العناوين بكثرة دلالة الإنسان الّتي تمتزج بالمأساة ثمّ تلحقها الطبيعة الّتي ترافقها الرموز والثنائيات التعبيرية.

٨. تتعرّض دراسة المستوى التركيبيّ في عناوين الشاعر للتركيبين الإسميّ والجمليّ، وبينهما تكثر العلاقة السيميائية في التراكيب الإسميّة على أساس توسيع حيز الدلالة بين الدالّ والمدلول الوصفيين والإضافيين والعطفيين أو مفارقة الدلالة بينها.

٩. ينمّ التركيب الجمليّ في عناوين الشاعر عن سيادة الجملة الخبرية وكثافة استخدام الجمل الإسمية فيها. يميل الشاعر إلى انزياحية الجمل الإسمية بحذف المسند إليه أو المبتدأ في كثيرٍ من تراكيبه العنوانية ليبدي حساسية الخبر ومضمونه أو يلفت معظم تركيز القارئ عليه في حالة غياب المبتدأ.

www.SID.ir

Archive of SID

المصادر والمراجع

١. إشتية، فؤاد يوسف إسماعيل (٢٠١٠م). *القمر في الشعر الجاهلي*. رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.

٢. آذرشب، محمّد علي؛ امين مقدسي، ابوالحسن؛ نيازي، شهريار؛ بيات، موسى (١٣٩٦ش). «نشانه‌شناسی عنوان قصيده (حفر على ياقوت العرش) سروده محمّد على شمس الدين»، *مجلّة زبان و ادبيات عربي*، مشهد، ش١٦، صص١-٢٦.

٣. بخولة، بن الدين (٢٠١٨م). «العنوان بين مدلول اللغة ومفهوم الاصطلاح». *مجلّة علوم اللغة العربية وآدابها*، جامعة الوادي، الجزائر، ج٢، ع١٣، صص٣٨-٤٩.

٤. بخيت، فاطمة؛ بزرگ بيگدلي، سعيد؛ نيكوبخت، ناصر؛ روشنفكر، كبرى (١٤٣٤هـ). «سيميائية العنوان في قصيدتي "شبگير" لأحمد شاملو و"ليل يفيض من الجسد" لمحمود درويش (دراسة مقارنة)». *مجلّة العلوم الإنسانية الدولية*، طهران، ع٢٠، صص١٩-٣٧.

٥. بلعابد، عبد الحقّ (٢٠٠٨م). *عتبات (ج. جنيت من النصّ إلى المناصّ)*. الجزائر: منشورات الاختلاف.

٦. بيستون، ألفرد (٢٠١٧م). *اللغة العربية الفصحى المعاصرة*. ترجمة: محمّد جواد النوري، بيروت: دار الكتب العلمية.

٧. التونسي جكيب، محمّد (٢٠٠٠م). «إشكالية مقاربة النصّ الموازي وتعدّد قراءاته، عتبة العنوان نموذجاً». *مجلّة جامعة الأقصى*، فلسطين، ع١، صص٥٠٦-٥٩٥.

٨. الجزار، محمّد فكرى (١٩٩٨م). *العنوان وسميوطيقا الاتّصال الأدبيّ*. القاهرة: الهيئة المصرية العامّة للكتاب.

٩. الحارثي، حمدان محسن عواض (٢٠٠٧م). *العنوان في النصّ الشعريّ الحديث في المملكة العربية السعودية دراسة وصفية تحليلية*. رسالة ماجستير، إشراف عبد الله بن محمّد العضيبي، جامعة أمّ القرى: السعودية.

١٠. الحجمري، عبد الفتّاح (١٩٩١م). *عتبات النصّ: البنية والدلالة*. المغرب: منشورات الرابطة.

١١. حسنية، مسكين (٢٠١٤م). *شعرية العنوان في الشعر الجزائريّ المعاصر*. أطروحة دكتوراه، إشراف داود محمّد، جامعة وهران، الجزائر.

١٢. حمداوي، جميل (٢٠١٥م). *سيميوطيقا العنوان*. المغرب: المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين.

www.SID.ir

Archive of SID

١٣. سعيدة، عمروش (٢٠١٣م). *سيميائية العنونة في ديوان "أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار" ليوسف وغليسي*. رسالة ماجستير، إشراف عقيلة محجوبي، جامعة سطيف، الجزائر.

١٤. السلطاني، إيمان مطر مهدي؛ إيناس، محمّد مهدي حمود (٢٠١٤م). «وظائف العنوان النصّية في القرآن الكريم السور المكّية أنموذجاً». *مجلّة اللغة العربية وآدابها*، جامعة الكوفة، العدد ٢٠، صص٢٤٥-٢٦٦.

١٥. صدقي، حامد؛ جمال نصاري (٢٠١٣م). «الطبيعة الرمزية في شعر بدر شاكر السياب ونيما يوشيج». *مجلّة دراسات في اللغة العربية وآدابها*، سمنان، ع١٥، صص١١٩-١٤٢.

١٦. عبد الفتاح، كاميليا (٢٠٠٩م). «الشكل الطباعيّ ودوره في تشخيص الدلالة في القصيدة العربية المعاصرة مقاربة نقدية». *مجلّة علامات*، ج٧٠، صص٣٧٧-٣٥٩.

١٧. العبيدي، علي أحمد محمّد (٢٠٠٩م). «العنوان في قصص وجدان الخشاب (دراسة سيميائية)». *مجلّة دراسات موصلية*، ع٢٣، صص ٧٩-٥٩.

١٨. عفيفي مطر، محمّد (١٩٩٨م). *الأعمال الشعرية؛ من مجمرة البدايات، ملامح من الوجه الأمبيذوقليسي، احتفالات المومياء المتوحّشة*. ج١و٢و٣، ط١، القاهرة: دار الشروق.

١٩. العمامي، محمّد نجيب (٢٠١٣م). *البنية والدلالة في الرواية دراسة تطبيقية*. السعودية: مطبوعات نادي القصيم الأدبيّ.

٢٠. فلاح، حسينة (٢٠١٢م). *الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغنامي (ذاكرة الجسد- فوضى الحواس- عابر سرير)*. الجزائر: منشورات مخبر تحليل الخطاب.

٢١. قطوس، بسام موسى (٢٠٠١م). *سيمياء العنوان*. الأردن: وزارة الثقافة.

٢٢. الكراعين، أحمد نعيم (١٤١٣هـ). *علم الدلالة بين النظرية والتطبيق*، بيروت: المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

٢٣. محسني، على اكبر (١٣٩٠ش). *آموزش دانش معاني*. ج١، كرمانشاه: انتشارات دانشگاه رازي.

٢٤. منور، سيدي محمّد (٢٠١٤م). *المعجم الشعريّ عند الأخضر السائحي: دراسة معجمية دلالية*. رسالة ماجستير، إشراف عكاشة شايف، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.

٢٥. نور الدين، صدوق (١٩٩٤م). *البداية في النصّ الروائيّ*، سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع.

www.SID.ir

Archive of SID

٢٦. الهميسي، محمود (١٩٩٧م). «براعة الاستهلال في صناعة العنوان»، *مجلّة الموقف الأدبي* (اتّحاد الكتاب العرب)، ع٣١٣، صص٣١-٤٩.

٢٧. داود، إبراهيم (٢٠١٠م). عندما يتحدّث الطمي، مؤسّسة الأهرام، http://www.ahram.org.eg/archive/Culture-world/News/28174.aspx

٢٨. صياد، كريم (٢٠١٧م). التدجين والتوثين... قراءة في ديوان «وديعة كيفرة» لمروة نبيل، موقع صحفي، http://www.sahafi.jo/files/4e3c09eea2d35623d8ddc2503e25cc7e5f9e64d3.html

29. Genette, Gérard (1987) seuils. ed. du seuil, Paris.

www.SID.ir